



العريقة. أما سوق «بؤابة القصب» التاريخي القريب، فهو في حال جيدة. كان السوق يضم محال وورش تصنيع مفروشات منزلية، وقد عاود بعضها نشاطه أخيراً.

الجامع الأموي
يُقسم الضرر اللاحق بالجامع الأموي

الكبير إلى قسمين متفاوتي الشدة: الأخرى لحق بأجزاء متفرقة من الأرضية والجدران وبعض الأعمدة، أما الأعظم فهو انهيار مئذنته بشكل كلي. هناك معالم لم تتعرض للأذى مثل المزولة الشمسية، والمحراب. نالت إعادة ترميم الجامع أولوية عن كل ما سواها. باشرت اللجان عملها، وتم البدء بأعمال ترميم إسعافية تحض «القبليّة» والمدخل الشمالي. أما عملية إعادة بناء المئذنة من انقاضها، فمن المُنتظر أن تكون عملية شاقة وطويلة. أنجز «مكتب ممارسة مهنة الهندسة في جامعة حلب» أخيراً الدراسة اللازمة لتوصيف الحالة الراهنة، ودراسة مسقط السقوط ورسم الحجارة وتقييمها. معظم حجارة المئذنة موجودة، والمرحلة التالية من الأعمال فرز الحجارة، وهي وفقاً لخبراء الأثار مهمة شاقة وصعبة جداً. ومن بين الصعوبات التي تواجه عملية الفرز، قلة اليد العاملة المدربة والخبيرة. بعد إنجاز الفرز، يمكن البدء بترميم الحجارة ذاتها، حيث تتعرض بعضها للضرر بفعل الانهيار، أو بفعل العوامل الجوية. لاحقاً، يمكن البدء في إعادة البناء والخبر الجيد أن المئذنة موثقة بدقة متناهية، ما يجعل إعادة بنائها بصورة مطابقة أمراً ممكناً.

مخاطر ومقترحات

يتحدّث عدد من الخبراء عن صعوبات كثيرة تواجهها عمليات الترميم وتهدّد بنتائج سيئة ما لم تتّخذ مراعاتها. ومع التشديد على عدم ذكر الأسماء، تشير المصادر (من بينها من هو على تماس مع خطط الترميم) إلى أن «أي خلل قد تلحقه عمليات الترميم بأصالة المدينة القديمة قد يؤدي إلى كارثة تُكمل ما بدأتها الحرب». وتوضح المصادر لـ«الأخبار» أنّ من بين المخاطر «إيكال



أي خلك قد تلحقه عمليات الترميم بأصالة المدينة القديمة قد يؤدي إلى كارثة



التنفيذ إلى جهات غير خبيرة بهذا النوع من الأعمال». وتشير إلى «تصدي جهة مثل «مؤسسة تنفيذ الإنشاءات العسكرية/ متاع» لعملية إعادة بناء مئذنة الجامع الأموي، وهو أمر يبدو مغامرة محفوفة بالمخاطر». لكن مدير الأثار والمتاحف يؤكد لـ«الأخبار» أنّ «كل العمليات تتم بإشراف المديرية كجهة علمية متخصصة». ويضيف «العمليات ستلتزم الحفاظ على هوية المباني ومراعاة أدق معايير الترميم، وتحترم القواعد العملية المعتمدة من قبل اليونسكو ومنظمة إيكوم العالمية وسائر المنظمات العلمية المعنية». يشير الباحث عامر رشيد مبيض إلى بعض الأخطاء والتجاوزات التي بدأت تعترى عمليات الترميم؛ ومن بينها العمل العشوائي في بعض الممتلكات الخاصة، وعدم تغطية أرضية الجامع الأموي قبل البدء بعملية الترميم، ما يجعلها عرضة للتصنّف. ينتقد مبيض عدم الاستفادة من جميع الخبرات المتوافرة في حلب، والاقتصار على أسماء بعينها. كما يرى ضرورة أن تلعب نقابة المهندسين في حلب دوراً أساسياً في عمليات الترميم «نظراً إلى وجود أعداد كبيرة من ذوي الكفاءات العالية والخبرات، وعدم وجود مهندسين في مديرية الأثار والمتاحف بحلب، باستثناء مهندسين إداريين ليسوا من ذوي الخبرة». أما الباحث علاء السيد فيقول «حلب القديمة هي معلم تاريخي وليست مجرد أبنية

هندسية، ولا يمكن أن يقوم بترميمها مهندسون إنشائيون فقط من دون النظر إلى بعدها التاريخي». يقول السيد لـ«الأخبار» إنه «يجب أن يرافق مهندسي الترميم باحثون تاريخيون، وينبغي تشكيل لجنة إشراف موسعة تضمّ تاريخيين وإنشائيين جنباً إلى جنب، مع ملاحظة أن معظم الباحثين في تاريخ المدينة ليسوا من أكاديمي كليات التاريخ الجامعية، بل هم من عشاق المدينة ومن اختصاصات مختلفة».

لا (سوليدير) في حلب

يؤكد المدير العام للأثار والمتاحف أنّ التحدي الأكبر هو «عودة حلب بالقها، لا بمجرد ديكور شكلي عشوائي»، ويضيف «للأسف، ليس من الممكن عودتها إلى ما كانت عليه تماماً. هناك خسارة وقعت، ولكن علينا أن نتشارك في تخفيف وطأتها». يقول «نحن بأمس الحاجة إلى تضامن جميع المؤسسات الوطنية، حكومية وغيرها، وإذا نجحنا في حشد التضامن المطلوب والتعاون الدولي، يمكن إنقاذ أكثر من 70% من حلب القديمة والحفاظ على روحها، وبالتالي إبقاؤها على قائمة التراث العالمي». يوضح أنّ «خصوصية حلب القديمة تنبع من كونها منظومة متكاملة بأسواقها ومبانيها ومناطقها السكنية، وهذا يجعل التحدي أكبر، ولا بأس إذا استغرقت الأعمال زمناً طويلاً». يشير في الوقت نفسه إلى بعض الأعمال الإسعافية التي ينبغي إنجازها استباقاً لـ«شتاء آخر قد يخلف تداعيات خطيرة إضافية بسبب عوامل الطقس». ويشدّد الرجل على أنّ حلب لن تكون مسرحاً لـ«تجربة تشبه تجربة سوليدير (بيروت)، سنحاشي الأخطاء التي وقع فيها سوانا، يجب أن نقدم تجربة ريادية للعالم، ونحول حلب إلى درس رغم ماضي الحرب، والسوريون قادرين على ذلك». يُظهر الرجل تفاؤلاً بإمكانية «تحويل تراثنا إلى مشروع للمصالحة يجمع السوريين حوله». يقول «اعتقد أنّ المراحل القادمة تحمل بشائر خير في الحصول على دعم دولي تام لمؤازرة حلب القديمة رغم العقوبات والحصار الاقتصادي، وما يعنيه ذلك من مشكلات وعواقب».

«يونسكو» على الخط

تُظهر منظمة اليونسكو اهتماماً كبيراً بمدينة حلب القديمة بوصفها أحد مواقع التراث العالمي. عقدت المنظمة اجتماعاً فنياً وتنسيقياً موسعاً في بيروت مطلع الشهر الماضي بغية «وضع استراتيجية لإنعاش مدينة حلب، واستعراض المبادرات الوطنية والدولية الحالية والمتوقعة، واتخاذ قرار حول وضع إطار مشترك لإعادة تأهيل التراث الثقافي لمدينة حلب وصونه». يوضح مأمون عبد الكريم أنّ «الاجتماع تمّ بناءً على طلب مديرية الأثار والمتاحف». ويؤكد لـ«الأخبار» أنّ «العلاقة بين الجهتين ممتازة، واليونسكو لم تتخلّ عنّا نهائياً، وتعاملت مع ملف الأثار السورية بمسؤولية وبعيداً عن التسييس». ووفقاً لعبد الكريم، فقد كانت المنظمة «سبباً في تقديم الاتحاد الأوروبي معونات مالية لدعم التراث الثقافي السوري، رغم العقوبات الظالمة المفروضة على سوريا». ويضيف «عندما تكون هناك حاجة إلى تدخل إسعافي يتدخلون فوراً. فمثلاً، قدمت المنظمة أخيراً تمويلاً فورياً وعاجلاً لترميم جسر قلعة حلب». كذلك تبذل المنظمة جهوداً «في تأهيل الكوادر والدعم داخل سوريا وخارجها، إضافة إلى ملاحقة لصوص الأثار». يوضح عبد الكريم أنّ «وضع حلب على قائمة يونسكو للمواقع المهددة (عام 2013) ليس عقوبة كما تم الترويج حينها، بل هي خطوة لتوفير الدعم وبق ناقوس الخطر. المدينة كانت مثل كثير من المواقع السورية تحت الخطر وفي خضم الحرب، ولا ينبغي أن نخشئ خلف أصابعنا».



ما قل ودل

قال محافظ حمص طلال البرازي لـ«الأخبار» تعليقا على الصور التي انتشرت عن الظروف غير الإنسانية التي يعيشها من خرج من البلدتين إثر سبب الفوضى هو عدم رغبة أي من الواصلين إلى مركز جبرين في حلب، بالبقاء. ما ادعى إلى إرسال أعداد فائضة عن استيعاب الوحدات السكنية المجهزة. وعن الحلول الإسعافية، لفت إلى سرعة تأهيل إرساك 80 عائلة إلى اللاذقية ويرف دمشق، لتبقى 35 عائلة من دون مأوى. ما اضطر المحافظ إلى تأمينهم في مدرسة كمرکز مؤقت. ووعده بتأمين هؤلاء في مساكن خاصة خلال 48 ساعة.

إلى جثامين لـ 12 شهيداً. فيما يقدر عدد الواصلين إلى اللاذقية بأكثر من 300 شخص. ويبقى لدى نسرين حاج حسن، في غرفتها الصغيرة في وحدات حسياء المؤقتة، تساؤلات لا إجابات عنها. المرأة التي عاشت تغريبتها الثانية، بعدما هجرت بينها الأول في إدلب، لتترك أرضها وبيت عائلتها في الفوعة، انتقلت المرأة الحامل إلى حسياء مع طفلاتها الثلاث، فيما بقي زوجها في الفوعة واستشهد عدد من أقاربها في تفجير الراشدين. تقول المرأة بحسرة: «4 أيام من التشرد في جبرين و3 أيام انتظار في الراشدين، إضافة إلى يومين في حسياء. العودة إلى القرية أهون... السنة كلنا زرعنا أراضيها رغم القنص والصواريخ. من سيجنيها؟»

عنه في عمر العشرين يوماً، ليراه اليوم وقد بلغ سنتين وشهرين. ويقول عن تفجير الراشدين: «أصابنا الارتباك. لم نفهم، هل أصبحنا أسرى؟ وماذا سيكون مصيرنا؟... كان هناك حرش قريب من مكان التفجير، ومعظم الناس هربت للاحتماء فيه، ما جعل (أحرار الشام) يضربون طوقاً حولنا بعد شائعات عن وجود انتحاريين إضافيين، قبل أن نعود إلى الباصات». ووفق اليوسف، قامت عدة سيارات إسعاف تركية بنقل أعداد من الجرحى، ليعلم لاحقاً بنقلهم إلى مشاف عدة، أحدها داخل الأراضي التركية. ويقول إن عدد المفقودين والمتوقع وجودهم في تركيا يقدر بـ 800 شخص، اطمأن، أول من أمس، إلى وصول 120 جريحاً منهم إلى حلب، إضافة

بيدي الطبيب رغبة بإخراج سيارته ليحمل فيها مكتبته وبعض معداته الطبية، غير أن ذلك ممنوع. فيقول: «سأحمل معي صوراً عائلية عمرها أكثر من 30 سنة، وبعض الوثائق وجلاءات الأولاد (نتائج مدرسية). ورغم استحالة العودة يوماً، إنما لن أفقد الأمل أبداً».

800 مفقود في تركيا!

يختلف الإيمان بالعودة إلى البلدتين من شخص إلى آخر. ابن الفوعة الممرض أحمد اليوسف، الذي وصل إلى اللاذقية من مركز جبرين في ريف حلب، يرى استحالة العودة في المدى المنظور. ويعي أن وداعه للفوعة كان الأخير. سوف يحاول الرجل الاستقرار في المدينة الساحلية وطني صفحة الوجود والمعاناة، وحضن طفله الذي غاب

«لو أحمل معي مكتبتي...» يبدو واضحاً تعلق المغادرين بأرضهم، التي كما لو أنها شاركت في لفظ المهاجرين مع أبنائها. غير أن الوضع الاقتصادي الخانق أسهم نهاية في قبولهم بالتسوية. ووفق الطبيب المصطفى، فقد تعذر العمل في الأرض، بعد استشهاد كثيرين أثناء جنبيهم موسم الزيتون. ويشرح أنّ «الأمم المتحدة والهلال الأحمر لم يكونوا منصفين في إدخال المساعدات، بل كان تحيزهم واضحاً لمنطقتي مضايا والزبداني». ويتابع: «طالبت بمواد تخدير وحقن لوقف النزف أكثر من 50 مرة من دون جدوى. وكان البديل التهريب وبأعلى الأسعار، مضيئاً أن الوضع الطبي الآن أفضل، بعدما خرج المرضى والمصابون».